بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ – ثابت عيد – زيورخ في الرّابع من شهر ديسمبر سنة 2006م –

رواية الأديب البرازيلي ألبرتو موسى »لغز القاف«

بقلم: ثابت عيد

أريد في هذا التّقديم الوجيز التّعريف بكاتب الرّواية : ألبرتو موسى، ومؤلف المراجعة : ألبرت فون برون – مع الإشارة إلى التّأثير العظيم للشّعر العربي القديم على أدباء أوروبّا. أمّا كاتب الرّواية، فهو ألبرتو موسى : وُلد في مدينة ريو دي چانيرو، بالبرازيل، سنة 1961م، لجدين لبنانيّين. تعلّم العربيّة والعبريّة والسّريانيّة، ويقومُ بتدريسها جميعًا في الجامعة في ريو دي چانيرو، حيث يعيشُ. زار ألبرتو موسى بيروت لأوّل مرّة في حياته في ثمانينات القرن العشرين. كما زار القاهرة سنة 2004م. يعالج ألبرتو موسى في روايته »لغز القاف« *O enigma de Qaf* كلّ شعراء الجاهليّة. الشّاعر الثّامن الخيالي يُشبه شنفرة، يهربُ مع حبيبته إلى صحراء الرّبع الخالي في السّعوديّة. تعدّ هذه الرّواية أهم أعمال ألبرتو موسى حتّى الآن، حيث فاز بعدّة جوائز أدبيّة تقديرًا لهذه الرّواية. تُرجمت هذه الرّواية حتّى الآن من البرتغاليّة إلى الأسبانيّة، وربّما الألمانيّة أيضًا.

أمّا كاتب نقد هذه الرّواية، فهو الباحث السّويسريّ ألبرت فون برون – المسؤول عن القسم العربي في مكتبة زيورخ المركزيّة، فضلًا عن إشرافه على اللّغات : الإيطاليّة والبرتغاليّة والأسبانيّة في المكتبة نفسها. بدأ فون برون عمله البحثي من خلال أطروحة عن »الأقمشة والملابس والأعمال الجلديّة في اللّغة الكتالانيّة ذات الأصول العربيّة«، سنة 1982م. يقوم فون برون بنشاط متميّز من أجل تقديم الأدب البرازيلي والبرتغالي إلى القارئ الألماني، حيث يترجم وينقد الأعمال الكلاسيكيّة في اللّغة البرتغاليّة. نشر فون برون مؤخرًا كتابًا باللّغة البرتغاليّة عن السّكك الحديديّة كما تظهر عند الأدباء النّاطقين بالبرتغاليّة.

نختم هذا التّقديم الوجيز بالإشارة إلى الأثر البالغ الّذي أحدثه الشّعر الجاهلي في أدباء أوروبّا. يقول جوته – أعظم شعراء ألمانيا – عن الشّعر العربي القديم :

»وعند العرب – الّذين يسكنون في بقعة أقرب إلى الشّرق – نجدُ كنوزًا رائعة في المعلّقات. وهي قصائد مديح نالت الجوائز في المباريات الشّعريّة. وقد نُظّمت في العصر السّابق على مجيء محمّد (صلعم)، وكُتبت بحروف من ذهب، وعُلّقت على أبواب بيت الله (الحرام) في مكّة. وتُعطي فكرة عن شعب بدوي محارب، يمتهن الرّعي، تُمزّقه منَ الدّاخل المنازعات بينَ القبائل الّتي يصارع بعضها بعضًا، وتُعبّر عن التّعلّق الرّاسخ بالرّجال الّذين هم من نفس العنصر، وعن الشّعور بالشّرف والرّغبة العارمة في الثّأر، مع حزن في العشق وكرم وإخلاص، وكلّ هذا بغير حدود. وهذه القصائد تُزوّدنا بفكرة وافية عن علو الثّقافة الّتي تميّزت بها قبيلة قريش، الّتي منها محمّد (صلعم) ...

وقيمة هذه القصائد الممتازة، وعددها سبع، تزداد بما فيها من تنوّع رفيع سام. ولا نستطيع أن نصفها على نحو أوجز وأقوم ممّا قاله جونز، الصّائب الحكيم، حيث قال في وصفها :

»معلّقة امرئ القيس رقيقة، بهيجة، لمّاعة، أنيقة، متنوّعة، سارّة. أمّا معلّقة طرفة، فجريئة، حيّة، وثّابة، ومع ذلك يشيع فيها نوع منَ البهجة. وقصيدة زهير قاسيّة، جادّة، عفيفة، حافلة بالحكم والأدب والجمل الجليلة. وقصيدة لبيد خفيفة هيمانة، أنيقة، رقيقة ... وقصيدة عنترة تبدو متكبّرة، مهدّدة، حافلة بالتّعبير، رائعة، لكنّها لا تخلو من جمال في أوصافها وصورها. وعمرو بن كلثوم عنيف، سام، ماجد. والحارث بن حلزة على العكس مليء بالحكمة، والفطنة، والكرامة. وهاتان القصيدتان الأخيرتان تبدوان بمنزلة خطب ألقيت في المنازعات الشّعريّة-السّياسيّة أمام جمهور من العرب اجتمع لتسكين الأحقاد المدمّرة بين قبيلتين«»[1].

تذكر كاتارينا مومزن في كتابها : »جوته والعالم العربيّ« أنّ : »أوّلَ مَنْ عرّف الغرب بالمعلّقات هو وليم جونز (1746م–1794م)، معاصر جوته. فقد قدّم مؤلّفه :

„Poeseos Asiaticae Commen tarii Libri Sex“

(شرح المعلّقات السّبع) المنشور عام 1774م »القصائد المذهّبة السّبع« بوصفها البداية الّتي لم تجار أبدًا، والقمة الّتي لا يعلى عليها قط في الفنّ الشّعري العربيّ. وبعد ثلاث سنوات من ذلك التّاريخ أعاد آيشهورن، أستاذ اللّاهوت والاستشراق في جامعة يَنا، طبع هذا الكتاب، وأهدى جوته نسخة منه. وفي عام 1783م ظهرت المعلّقات بنصّها العربيّ المطبوع بالحروف اللّاتينيّة مع ترجمة إنجليزيّة قام بها وليم جونز. ولا جدال في أنّ نشر المعلّقات مترجمة قد حفّز جوته على ترجمتها إلى اللّغة الألمانيّة. وهذه حقيقة لا يرقى إليها الشّكّ، لأنّ جوته نفسه يذكر ذلك في رسالة بعثها إلى صديقه كارل كنيبل بتاريخ 14 نوفمبر من عام 1783م«[2].

يشير فؤاد سزكين في المجلّد الثّاني من موسوعته عن تاريخ التّراث العربيّ إلى التّرجمات الأوروبيّة للمعلّقات السّبع، وكذلك سيرة عنترة بن شدّاد. فبعد ترجمة جونز الإنجليزيّة سنة 1783م، ظهرت ترجمة ألمانيّة عن ترجمة جونز هذه سنة 1801م. ثمّ ظهرت ترجمة فرنسيّة للمعلّقات سنة 1847م. وبعد ذلك ظهرت ترجمات ألمانيّة أخرى للمعلّقات سنة 1857م، وسنة 1891م. وقام نولدكه بترجمة خمس معلّقات سنة 1899م. بل إنّ هناك ترجمات تركيّة وفارسيّة لهذه المعلّقات!![3]

وبعد فنحن ندعو إلى الاهتمام بلغة الوحي الّتي أهملناها، وهجرناها، وتركنا للعجم مهمة الاهتمام بها، والاستمتاع بآدابها وكنوزها. فلولا ما استبشره الأوروبيّون من روعة وجمال في الأدب العربي القديم لما كابدوا عناء نقله إلى اللّغات الأوروبيّة.

تقول سجريد هونكه عن تأثير الشّعر العربيّ على الأشعار الأوروبيّة : »(...) وقد سيطر هذا الطّابع العربيّ المميّز على الشّعر في العالم، وطغى على الطّابع الإغريقيّ واللّاتينيّ والجرماني. وبرغم أنّ اللّغات الجرمانيّة، خاصّة الألمانيّة، يصعب استخدامها في القافية، فقد اتّخذت الطّابع العربيّ طابعًا لها، ونبذت الأصول الجرمانيّة والإغريقيّة حتّى صارت غريبة علينا اليوم. كيف حدث هذا؟ ولماذا لا نُنظّم – نحنُ الألمانَ – أشعارنا الآنَ كما فعل الإغريقُ والرّومان؟ لقد ظلّ الشّعر الدّينيّ والدّنيويّ زمنًا طويلًا يخرجُ في ثياب لاتينيّة. ولم يكد الشّعب يبدأ بنظم القصائد الغنائيّة، حتّى ترك النّظم الإغريقيّة والرّومانيّة، واتّخذ الطّابع السّامي نظامًا لشعره. لقد جذبته إليه الحاجة إلى إيقاع موسيقيّ يتّفق معَ الشّعر الغنائيّ. ولو لم يفعل الشّعبُ هذا، لما وصلت القصائد الغنائيّة عند جوته وغيره منَ الشّعراء المبرزين إلى ما وصلت إليه من شهرة عالميّة«[4].

أخيرًا ينبغي لنا توجيه الشّكر والامتنان لألبرتو موسى لإحيائه التّراث العربيّ في بلاد المهجر، في قلب البرازيل النّابض بالحياة. كما نشكر أيضًا فون برون على جهوده لتقديم كبار أدباء البرازيل إلى القارئ الألماني في سويسرا وألمانيا والنّمسا.

---

1 انظر : جيته، الدّيوان الشّرقيّ للمؤلّف الغربيّ، ترجمة عبد الرّحمن بدويّ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، الطبعة الثّانية، سنة 1980م، ص375 وما بعدها.

2 انظر : كاتارينا مومزن، جوته والعالم العربيّ، ترجمة عدنان عبّاس علي، مراجعة عبد الغفّار مكّاوي، عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1995م، ص56 وما بعدها.

3 *Fuat Sezgin, Geschichte des arabischen Schrifttums, Band II, Leiden 1975, S. 48ff.*

4 انظر : سيجريد هونكه، شمس اللّه تسطع على الغرب، التّرجمة العربيّة، دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة 1986م، ص508.